

محاضرة:

عبرات تسكب على التوحيد

للشيخ ممدوح الحربي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. {يا أيها الذِين آمنواْ اتقُواْ اللّه حق تقَاتِهِ ولاَ تموتن إِلا وأَنتم مسلِمونَ} سورة آل عمران (١٠٢).. {يا أَيها الناس اتقُواْ ربكُم الذِي خلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ وخلَق مِنها زوجها وبث مِنهما رِجالاً كَثِيرا ونِساء واتقُواْ اللّه الذِي تساءلُونَ بِهِ والأَرحام إِن اللّه كَانَ علَيكُم رقِيبا} سورة النساء (١) .. أما بعد

إخواني في الله .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وأسأل الله عز وجل أن يتقبل منا أعمالنا وأقوالنا وأن يحسن لنا الختام على الإيمان والتوحيد والسنة إنه على كل شيء قدير ..

إخواني في الله .. قرأتم عنوان هذه المحاضرة والذي هو: **" دموع وعبرات تسكب على التوحيد "** ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على قطع مادة الشرك وسد ذرائعه ولهذا نهى عن رفع القبور والبناء عليها والصلاة عندها واتخاذها عيداً وإيقاد السرج عليها ونحو ذلك من الأمور التي تؤدي إلى تعظيم أصحابها من المقبورين والغلو فيهم .. فقد روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما نزل برسول الله

صلى الله عليه وسلم - يعني الموت - طفق يطرح خميصةً على وجهه فإذا اغتم - صلوات ربي وسلامه عليه - كشفها عن وجهه الشريف فقال وهو كذلك : " لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد " يحذر ما صنعوا صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله عنها أيضاً : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسةً بأرض الحبشة يقال لها ماريه لقد كانت أم سلمه وأم حبيبه رضي الله عنهما أجمعين قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسنها وتصاويرها فقالت فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه الشريف فقال أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " رواه البخاري ومسلم ...

إنها وصية إخواني في الله مخلصاً يودع بها الحبيب الخليل صلى الله عليه وسلم أصحابه ليلحق بالرفيق الأعلى فعلى رغم ثقل المرض وشدة الألم إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعيدها المرة بعد الأخرى رحمة بأمته وشفقة عليها وخوفاً عليها من الزيغ والانحراف والوقوع في ظلمات الشرك والتلطخ بأوحال الوثنية والضياع في سراديب التيه والتعلق بالمخلوق الذي لا ينفع ولا يضر.. بل من شدة عنايته صلى الله عليه وآله وسلم على جناب التوحيد من أن يخدش بعوامل الشرك ومؤثرات الوثنية لم يكتفي بسماع بعض أصحابه رضوان الله عليهم بل حرص على بيانه لجميع أصحابه الأطهار الأبرار رضوان الله عليهم.. فعن أسامه ابن زيد

رضي الله عنهما قال:" أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: أدخلوا علي أصحابي ، فدخلوا عليه وهو متقنع ببرده - فداه أبي وأمي- فكشف صـلى الله عليه وسلم القناع عن وجهه فقال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد).. إ ا اللحظات الأخيرة من حياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكـل همـه الأكبر هو إيضاح التوحيد بشكل جلي لا خفاء فيه ولا غموض.. إنه التحذير من الشـرك و البدع والتحذير من الغلو والزيغ.. فإن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين بالتوحيد الخالص مـن كل شائبة من شوائب الشرك والبدعة.. قال تعالى: { وما أُمِروا إِلا لِيعبدوا الله مخلِصِين لَـه الدين حنفَاء ويقِيموا الصلَاةَ ويؤتوا الزكَاةَ وذَلِك دِين الْقَيمةِ } (٥) سورة البينة ، وقال تعالى: {قُلْ إِن صلاَتِي ونسكِي ومحياي ومماتِي لِلّهِ رب الْعالَمِين} (١٦٢) سورة الأنعام

إخواني في الله: إنه التوحيد الذي هو أعظم حق لله تعالى فما من نبي ولا رسول كـريم إلا وجاء بالبيان والإيضاح لهذا الأصل العظيم قال تعالى وهو يناجي حبيبه وخليله صـلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله: {وما أرسلْنا مِن قَبلِك مِن رسولٍ إِلا نوحِي إِلَيهِ أنه لَا إِلَـه إِلا أَنا فَاعبدونِ} (٢٥) سورة الأنبياء .. ولهذا كانت حياة النبي صلى الله عليه وآله وسـلم حياة حافلة مليئة ببيان التوحيد والتحذير من الشرك والبراءة من أهله بل كان يعلم أصـحابه حدوده وقواعده ، فهاهو صلى الله عليه وسلم يقول لمعاذ بن جبل رضي الله عنه :" هل تدري

ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله " فقال معاذ: الله ورسوله أعلم؟. فقال صلى الله عليه وآله وسلم:" فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً " رواه البخاري ومسلم ، بل كان رسول الله عليه وآله وسلم يرسل أصحابه رضوان الله عليهم لهدم معاقل الوثنية وصروح الشرك والإلحاد .. فعن أبي الهياج ألأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " رواه مسلم ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شديد التوقي والتحري لحماية جناب التوحيد حتى في أدق المسائل .. فعندما جاءه رجل فقال له: ما شاء الله وشئت ، قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: " أجعلتني لله عدلاً .. لا بل ما شاء الله وحده " رواه أحمد والبخاري ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم دائم التضرع إلى ربه ومولاه ألا يُتخذ قبره وثناً يعبد مع الله تعالى حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد " رواه الإمام أحمد والحديث صحيح ، وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم بعد النبي صلى الله عليه وآله على منهاجه وطريقته الشريفة في التحذير من الشرك وذرائعه فلم يكن على عهد الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم من هذه القبور.. والأضرحة المعظمة في زماننا شيء لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا

مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحدث مشهداً لا على قبر نبياً ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ولا على ولي ولا صالح.. ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟! بدأ الانتقـال مـن النور إلى الظلام.. ظلام العبودية لغير الله تعالى إلى عبودية المخلوق للمخلوق وسراب الغلو في الأشخاص وتقديس المشاهد والقباب والقبور فحدث الانحراف العقدي والتمـزق النفسـي والشذوذ الفكري الذي أخذ ينخر في جسد الأمة فعشعش في عقول كثير من أبناءها وتربـع على قلو م حتى فرخ وثنية سافرة بغيضة أعني بذلك إخـواني في الله داء تقـديس القبـور والأضرحة والمزارات فظهرت بدعة منحرفة ضالة وهي بدعة التشيع التي كانت بداية الشـرك والوثنية و الإلحاد.. فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور حيث تتبعوا قبور من مـات قديماً ممن يعظمو م من آل البيت وراحوا يبنون على قبورهم ويجعلو ا مشاهد ومـزارات ثم قامت الزنادقة منهم ببناء المشاهد والـأضرحة على قبور الأولياء والأئمة فتعطلت المسـاجد ووضعوا في زيارة المشاهد والقباب وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب والبهتان ما الله به عليم... حتى صنف كبار شيوخهم كتباً في مناسك حج القبور والمشاهد وكذبوا فيها علـى رسولنا صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين أكاذيب بدلوا ا دينـه وشـريعته وغيروا ا ملة أبينا إبراهيم عليه السلام وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد فصاروا جامعين بـين الشرك والوثنية والكذب معاً فإن المتتبع لأحوال القبور يبين يلحظ بوضوح انتشـار الشـرك

بينهم بجميع أنواعه وصوره ودرجاته شرك في الربوبية وشرك في الألوهية وشرك في الأسماء والصفات كما أن ظاهرة العكوف على القبور اليوم والتي هي من أكثر البدع الشركية شيوعاً بين المسلمين قد أصبحت منظراً مألوفاً حتى أنك أخي في الله لا تكاد تسمع صوت المصلحين وهي تختنق في غمرة ضجيج العاكفين على القبور والأضرحة إ ا غفلة الصالحين وسكوت الدعاة الناصحين أقول إخواني في الله إ ا شبكة واسعة من القبور والأضرحة المقدسة ولكي ندرك إخواني في الله حجم المأساة نورد بعض النماذج التي توضح حجم انتشار هذه الأضرحة في بعض بقاع العالم الإسلامي وإلى أول الدول ...

" دولة مصر " ..

ففي بلاد مصر تلْقَى الأضرحة احتراماً وتبجيلاً لدى كثيراً من الناس حيث يشتهر في مصر أكثر من ألف ضريح فيوجد على سبيل المثال في مركز قَوه واحد وثمانون ضريحاً وفي مركز طلخى أربعاً وخمسون ضريحاً وفي مركز دسوق أربعاً وثمانون ضريحاً وفي مركز تلا مائة وثلاثاً وثلاثون وهي ضريحاً يعبد من دون الله عز وجل وهي الأضرحة التابعة للمجلس الصوفي الأعلى هذا بخلاف الأضرحة التابعة لوزارة الأوقاف أو الغير مقيدة با لس الأعلى الصوفي كما يوجد في" أسوان " أحد المشاهد والذي يسمى بمشهد السبعة وسبعين ولي..

وتنقسم الأضرحة إلى كبرى وصغرى.. وكلما فَخم البناء واتسع وذاع صـيت صـاحبه زاد اعتباره وكثر زواره فمن الأضرحة الكبرى في القاهرة ضريح الحسين وضريح السيدة زينـب وضريح السيدة عائشة وضريح السيدة سكينة وضريح السيدة نفيسة وضريح الإمام الشـافعي الذي وحده يتلقى في كل عام أكثر من خمسون ألف شكوى واستغاثة ومـدد مـن دون الله تعالى.. أما عن خارج القاهرة فتشتهر أضرحة كضريح البدوي بطنطـا وضـريح إبـراهيم الدسوقي بدسوق وضريح أبي العباس المُرسي بالإسكندرية وضريح أبي الحسن الشاذلي بقريـة حريمثلاء بمحافظة البحر الأحمر وضريح أبي الحجاج الأقصري بالأقصر وضريح عبد الـرحيم القِنائي بقناء.. وذلك حيث يندفع أكثر القبوريين لا شعورياً للقيام ببعض الممارسات المتنوعة كالحرص على الصلاة في المسجد الذي به الضريح ثم الحرص على زيارتـه وترديـد بعـض الكلمات والصلوات والدعوات ويلي ذلك التمسح بالضريح وتقبيله طلباً للبركـة ثم يليـه التوسل بجاه صاحب الضريح اعتقاداً أن ذلك أقرب إلى إجابة الدعاء ثم ينتهي م المطـاف ببلوغ غاية الضلال والخرافة عندما يتوجه إلى صاحب الضريح بالدعاء والرجاء وطلب قضاء الحاجات منه وغالباً ما يصحب الدعاء استقبال الضريح حتى لو كانت القبلة خلف ظهـره كما يظهر على الزائر الخشوع والسكينة والتأثر الذي قد يصل إلى حد البكاء وقـد يصـل الوجد ببعضهم إلى الإغراق في حالة من فقدان الوعي فيصبح كما يقولـون مجـذوباً كمـا

يتزاحم الناس عند ضريح البدوي حول حمار يأتي به دراويش الطريقة الشناويه إلى قبر البدوي فيتسابقون لـ ع شعرات من جسم هذا الحمار المسكين ليصنعون منها الأحجبة وهذا بالضبط ما كان قدماء المصريين يفعلونه ـذا الحيوان المسكين ..

أقول إخواني في الله: إ ا وثنية بكل معانيها.. أما إذا تكلمنا عن صـندوق الشـيطان ذلـك الصندوق الأسود المسمى بصندوق النذور عند ضريح البدوي فهو من أشهر صناديق النـذور على الإطلاق والذي بلغت حصيلته في إحدى السنوات إلى قرابة أربعة ملايين جنيه مصري.. كان نصيب الخليفة الأول والثاني لهذا الضريح حوالي أربع وخمسين ألف جنيه لكـل واحـد منهما ونصيب حامل مفتاح المقصورة ستاً وثلاثين ألف جنيه وشيخ المسجد ثمانية عشر ألف جنيه ورئيس الخدم اثنا عشر ألف جنيه والكاتب اثنا عشر جنيه والمؤذن ومقيم الشعائر وقارئ السور وخادم الدورة كل واحد من هؤلاء المرتزقة له نصيب ستة آلاف جنيه.. أما عن قـراء المقارئ وعددهم اثنان وعشرون قارئاً فقد كان نصيبهم هو مائة واثنين وثلاثون ألف جنيه مع الإعفاء من الرسوم والضرائب الحكومية.. أما عن نصيب الأسد من هذا الصندوق الشـيطاني فقد كان لوزارة الأوقاف حيث بلغ نصيبها تسعاً وثلاثين في المائة من إجمالي دخـل هـذا الصندوق الشيطاني.. كما يأتي الفلاحين والفقراء بالنصف أو الربع من أنعامهم وزروعهم بل أولادهم فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويضعه في صندوق النذور قائلاً: هذا نصـيبك يـا

بدوي، كما يجتمع في مولد البدوي أكثر من ثلاثة ملايين شخص وتشير الدراسـات إلى أن البدوي كان شخص غريب الأطوار، مختل العقل، دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج! ويكفي أن تعلم أخي في الله أن ما يناله خدام هذا الضريح من هذه الأموال أكثر ممـا ينالـه أكبر الأطباء والمهندسون وأساتذة الجامعة..

" بلاد الشام " ..

أما في بلاد الشام فقد أحصى عبد الرحمن بيك سامي في دمشق وحدها مائة وأربعـاً وتسعون ضريحاً ومزاراً المشهور منها أربعاً وأربعون ضريحاً .. وذكر أنه منسوب للصحابة أكثر من سبعاً وعشرين قبراً لكل واحد منهم قبة ويزار ويتبرك به.. وفي دمشق ضريح يدعي الناس أنه لرأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام.. ويقع في قلب المسجد الأموي وله قبة وشباك وله نصيبه من التمسح والدعاء وقبور أخرى تزار ويتوسل ا.. أما عن ضريح ابن عـربي في دمشق صاحب كتاب فصوص الحكم والمُعتقد بوحدة الوجود والحلـول والاتحـاد وزعـيم الفلاسفة القائلين ذه البدعة الكفرية..

أقول إخواني في الله إن مزاره وثن يعبد ويقدس في بلاد الشام والتي كانت في يوم من الأيـام عاصمة الخلافة الأموية وإن كان لا يزال في أهلها الخير إنشاء الله تعالى.. غير أن هذه الفتنـة

ـذا الوثن تزداد يوماً بعد يوم فلو قدر لك الذهاب إلى قبر ابن عربي في دمشق لوجدت فئاماً من الناس يغدون إليه ويروحون ولوجد ـم يطوفون حوله ويتوسلون به ويعلنون دعائهم له من دون الله تعالى ولوجدت المرأة تضع خدها على شباك الضريح وتمرغه وتنادي أغثني يـا ابـن عربي ! ولو جدت الصبايا البريئات يجئن إليه ويمددن إليه الأكف ويمسحن الوجوه ويخشـعن ويتضرعن.. أقول إخواني في الله عند قبر ابن عربي في دمشق تمارس شتى ألوان الشرك الأكبر فأين الناصحون وأين المخلصون وأين السائرون على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

أما " في الأردن" ..

فالدعاة في شرقها يطوفون بالأغنام حول مقام النبي يوشع في أزمان الأوبئة ويختارون خير نعاجهم ويصعدو ا إلى سطح الضريح وينحرو ا فيسيل الدم على عتبات الضريح قربـة لصاحب هذا القبر.. كما تزور المرأة العاقر والتي لا تنجب مقام النبي يوشع حافيـة خاشـعة وتجثوا أمام الضريح وتقبله بدموع وتضرع ومنهن من يرقدن الليالي الطويلـة بـين أسـواره بالصوم والصلاة ثم يغادرنه وفي أنفسهن من الفرح والسرور ما الله به عليم.. ننتقل إلى العراق أما العراق فتمتلىء بالعديد من القبور والمزارات بعضها للمنتسبين للسنة والكثير منها لأفراخ ا ـوس الشيعة فزيارات المنتسبين للسنة فردية وغير منظمة أما زيارات الشيعة فهـي منظمـة

ولكل مزار موسمه المعروف ففي هذه المواسم يفد الشيعة بأعداد كبيرة من مختلف أقطار العالم من بلاد الهند وإيران ودول الخليج ويمارسون الوثنية والشرك أمام هذه القبور حيـث تبـدأ الزيارة من النجف عند مرقد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما يزعمـون ويقـرأ الزائرون هناك عدداً من الأدعية الشركية والاستغاثات الوثنية في كتبهم الضالة المنحرفة بعـد ذلك ينتقل الزائر إلى كربلاء وهي ديارهم المقدسة ثم ألكاظميه وتنتهي بسامراء حيث يختفـي فيها إمامهم الثاني محمد بن الحسن العسكري كما يزعمون ويعتقـدون ، وتسـتغرق هـذه الزيارات الشركية الوثنية أياماً وليالي تسيل خلالها الدموع بغزارة ويكثر فيها الندب والبكاء والنحيب والاستغاثة لغير الله عز وجل وقد أتوها من مكان سحيق وفج عميق وقـدموا لهـا النذور والهدايا والقرابين...

أقول إخواني في الله: إ ا وثنية سافرة وردة من الله عندنا فيها من الله برهان ولكن لا أبا بكر لها رضي الله عنه.. أما ضريح الإمام أبي حنيفة فهو في ضاحية الأعظمية في مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة ويقع القبر في جانب القبلة من اليسار خارج المسجد وتوجد إلى جانبه وهذه الطامة الكبرى توجد إلى جانب ذلك الضريح كلية الشريعة أو كلية الإمام الأعظـم حيـث يقصده الحجاج الأتراك خلال رحلتهم إلى الحج.. أما قبر وضريح الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه فيقع في منطقة مطلة على ر دجلة إلا أن معالمه زالت بفعل حركة النهر ولم يعد لـه

أثر وهذا رحمة من الله تعالى لهذا الإمام الجليل إمام أهل السنة والجماعة والذي كان يلقب بمحدث الفقهاء وفقيه المحدثين رحمه الله تعالى..

ننتقل إلى "تركيا" ..

أما في تركيا إخواني في الله: فيوجد فيها على ما يزيد على ست مائة وخمسين مشهداً وضريحاً يشد إليه الرحال ويتوسل بأصحابها من دون الله عز وجل ويقدمون لها النذور والقرابين وغير ذلك من الأفعال الشركية الوثنية فالجماعات الصوفية في تركيا وخصوصاً الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية تدير الطريقة القرآنية والخلاوي إضافة إلى المدارس الابتدائية والثانويات الخاصة كما تملك أغلب الجماعات الصوفية مؤسسات إعلامية كبيرة مثل محطة (A.K.T.V إي. كا.تي.في) التابعة للطريقة النقشبندية والتي تركز نشاطها في صفوف الطلاب والطالبات وكذلك تمتلك جماعة الطريق القادرية محطة إعلامية كبيرة تعرف باسم "ميساي تي في mesay T.V " بل وتسيطر الطرق الصوفية في تركيا على ساحة الصحافة الإسلامية فتدير عشرات الصحف والمجلات والنشرات المتخصصة لنشر البدعة بين صفوف المسلمين العامة..

ننتقل إلى دولة باكستان..

ففي مدينة مولتان والتي تقع في وسط الباكستان تشتهر هذه المدينــة بكثــرة القبــور والأضرحة التي ترتفع عليها القباب والتي يصل ارتفاع هذه القباب في بعــض الأحيــان إلى خمسين متراً .. فإذا قدر لك أخي الحبيب أن تقف على هذه المدينة لرأيت أحــد الشــوارع الرئيسية ينحرف ليتجنب أحد هذه الأضرحة المعظمة المقدسة عند القوم ثم يعاود الاســتقامة مرة أخرى ولا أحد يجرؤ أن يفكر بأن يقترح نقل الضريح من مكانه.. أما إذا اقتربت مــن ضريح الشيخ زكريا وهو من أكبر الأضرحة هناك لرأيت تلك الفرق الموسيقية التي تجلس على مدخل المسجد فبمجرد رؤيتهم للقادم الغريب يبدأ العزف علــى الآلات الموســيقية وتعلــو أصواتهم بالغناء المليء بالشركيات والاستغاثات طبعاً لشيخهم الشيخ زكريا.. أما إذا اقتربت من فِناء الضريح فإنك سوف ترى الناس بين واقفٍ وجاثٍ وباكٍ ورأيت من يسجد علــى عتبات القبر.. أما عن النساء فإنك سوف ترى تلك المرأه المسكينة والــتي هــدها الإجهــاد والتعب وهي تحمل طفلاً لها في عينيه براءة الأطفال وبقايا الفطرة الحنيفية التي فطر الله عباده عليها وهي تسجد طفلها عنوةً على عتبة القبر والضريح ثم تمسح الأم على الضريح بيــدها ثم تمسح وجه طفلها المريض البريء.. أما في يوم مولد الشيخ زكريا فإن الناس يحضرون من جميع

أنحاء الباكستان بل ومن الهند ونيبال حتى إن بعضهم يحمل حذاءه بيده وهو ينـزل من الطائرة أو الحافلة إذ كيف يطأ بنعله أرضاً بها جسد الشيخ زكريا.. فاللهم رحماك رحماك..

ننتقل إلى دولة الهند..

ففي الهند يوجد إخواني في الله أكثر من مائة وخمسين ضريحاً مشهوراً يأمها آلافاً من الناس حتى أصبح قبر الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني مرجع الخلائق في هذا العصـر الأخـير يطوفون حوله ويعملون على قبره جميع الأعمال التي لا تليق إلا بالعلي الغفار سبحانه وتعـالى كالسجود والنذور..

أما إذا انتقلنا إلى دولة بنجلادش ..

ففي بنجلادش يأتي الناس إلى زيارة القبور والأضرحة ويظنون أنها أقدس مكان علـى وجه الأرض لذلك فهم يسجدون أمام الأضرحة إجلالاً لها واحتراماً إلا من رحم ربي كما يطلبون من أصحابها الذرية ودفع المصائب وتفريج الكروب ويقدمون لهم النذور من الأموال والحيوانات كالغنم والبقر التي تذبح باسم صاحب القبر لأنهم يعتقدون أن لأصـحاب هـذه الأضرحة والقبور يداً في تصريف الأمور بل وفي إدخالهم الجنة ومن المضحك المبكي أن بعض

الناس يأتون مزارات يوجد ا سلاحف وتماسيح يعتقد فيها البعض من الجهلاء النفع والضـر فيقدمون الأكل لها أملاً في الحصول على وظيفة أو تفريج كربة كما تحرص بعـض النسـاء الجاهلات على مس هذه الحيوانات أملاً في حدوث الحمل والرزق بالذرية لأ م يعتقدون أن هذه الحيوانات تحولت إلى هذه الصورة بعد أن كانت من الأولياء الصـالحين وهنـاك مـن المزارات التي تحتوي على أشجار يعتقد فيها وتعلق على أغصا ا الخيوط والخِرق.. فلا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

ننتقل إلى دولة اريتريا..

ففي اريتريا إخواني في الله.. يتوجه كثير من القبوريين للأضرحة والقبور حاملين معهم الأغنام والأبقار والسكر والقهوة والشاي وغيرها من الأنواع التي توجد عندهم إضـافة إلى الأموال وذلك ليقدموها قرباناً إلى صاحب الضريح والقبر وقد يذبحون الأنعام للولي أو للشيخ ويطوفون بالقبر ويتمرغون بترابه ويطلبون قضاء الحوائج وتفريج الكربات منه كما يحصل من الفساد الأخلاقي حول الأضرحة ما يستحي الإنسان من ذكره وخاصة الاخـتلاط وانتـهاك الأعراض وتكثر هذه الممارسات حول الأضرحة الشهيرة كضريح مثلاً الشيخ ابـن علـي وضريح سِيدِي هاشم الميرغني وضريح بنته الست علوية بمدينة مصوع وهذين القبرين قـد تم

بناءهم على شكل مكعب ومغطى بالقماش مثل الكعبة وفي كل زاوية من هذه الزوايا خشبة مستديرة يتبرك ا بعد الانتهاء من الطواف حول القبر.. قوانين الزيارة وحالة الزائرين إمـام القبر والضريح فإن لزيارة مراقد ومشاهد وقبور الأولياء قوانين لا بد من إتباعها ومنها: ينبغي أن يخلع الزوار نعالهم خارج القبة وبعضهم يخلعها خارج ساحة المسجد احتراماً لصـاحب الضريح فمن المسلم عندهم أنه لا يجوز دخول القبة بالنعلين كما يتم دخول القبة بإذن مـن حارسها حيث يتولى خادم الضريح وهو السادن تطويف الزوار ويتبرك الزوار بالضريح والقبر والقبة بطرق شتى منها الأخذ من تراب القبر ومنهم من يضع يديه على السياج المعدني حول القبر ويتمسح به ثم يمسح به على جسده وملابسه إضافة إلى الطواف داخل القبة حول القـبر فإنه من الممارسات الشائعة والمألوفة عند هؤلاء الزوار القبوريون.. إضافة إلى دعـاء المقبـور والاستعانة به والإلحاح عليه في الدعاء فقد رأيت بعض الزائرين يجلس عند القـبر ممسـكاً بسياجه ويلح في طلب حاجته وأحياناً يصرخ والبعض الآخر يدعوا المقبور أثنـاء الطـواف حول القبر ومما يندى له الجبين إخواني في الله أن امرأة شوهدت عند قبة الشيخ عبد البـاقي تحمل طفلاً وهي تدفعه بيديها و ـزه .. مخاطبةً الشيخ عبدالباقي وهي ترجو منـه البركـة في صغيرها ثم تقول: يا شيخ هل سمعت؟ يا شيخ هل سمعت؟ لتتيقن سماعه وقضاء حاجتها ومنهم من يلتزم القبر بداخل القبة ويصيح عنده ويجأر به وقد رأيت ذلك بعيني.. وهناك من يسـجد

وهو مستقبل الضريح والقبر عياذاً بالله تعالى إضافة إلى تقديم النذور عند هذه القباب والأضرحة ومن الناس أيضاً من يعكف عندها أياماً وشهوراً التماساً للشفاء أو لقضاء حاجةٍ من حوائجه وقد أُلحِقت ببعض القباب غرف انتظار للزائرين لهذا الغرض وقد لوحظ أن زيارة القباب والقبور تتم في جميع أيام الأسبوع وتزداد في أيام الجمع والأعياد حيث يقتض كثير من القباب بالزوار في هذه المناسبات.. كما لوحظ اختلاط الرجال والنساء في هذه الزيارات وإن معظم الزائرين هم من النساء.. يقول الإمام الصنعاني في كتابه العظيم تطهير الاعتقاد وهو يصف حالة أولئك المشركين في تعظيمهم للقبور والأضرحة بقوله رحمة الله عليه " ويقسمون بأسمائهم بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه ولن يصدق أحداً من الحالف إلا إذا حلف بواحدٍ منهم - أي من الأولياء- وهذا كان شيئاً طبيعياً كنا نراه في القرى ونحن صغار ولا زال يجري للآن " انتهى كلامه رحمة الله عليه.. واستمع أخي في الله إلى هذه القصة التي توضح ما اعتادوه وألفوه أولئك القبور يين من تعظيم القبور والإقسام ا..ففي بلاد الشام طال الجدال بين الأعراب على سرقة يمة من البهائم وكان المتهم جالساً بين الحضور وهو ينكر هذه السرقة فقال له أحد الحاضرين لا ريب أنك أنت السارق ودلائل الخوف ظاهرة على وجهك فقال المتهم أقسم بالله أني ما مددت يدي إلى الحرام فقال أحدهم وقال له لا بالله لا نقبل يمينك يعني

لا نقبل قسمك بالله ولكن أقسم لنا بضريح الهلاهله.. هذا ضريح في شرق الأردن فلما سمـع المتهم اسم الهلاهله امتقع لونه وقال: لا أقسم ويل للحالف ثم اعترف بجريمته وسـرقته لهـذه البهيمة.. كما وصل الحال ببعضهم إخواني في الله أن جعلوا هذه القبور والأضـرحة الوثنيـة حرماً آمناً.. يهرع إليه ا رمون والفارون ويلجأ إليها الخائفون ليأمونا في رحا ا ويستريحوا في ظلالها ويطمئن في ساحا ا بل لم يكن في زمن من الأزمان وفي وقت من الأوقات يجرأ أحد من الحكام أن ينتهك حرمة ضريح لاذ به مجرم ؟ أو عاذ به فار مهما كان جرمه ومهما بلغت جنايته وكثيراً ما عفي عن اللائذين بالأضرحة من ا رمين إكراماً للمـدفونين أو خشـيةً ورهبةً من انتقام وبئس الأولياء المقبورين كما يزعمون فإنا لله وإنا إليه راجعون.. جـاء في كتاب السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر أن بعض سدنة الأضرحة في أريـاف مصـر يرسلون عجلاً صغيراً في حقول بلدهم معلنون أن هذا العجل هو للولي الفلاني.. فلا يـزال هذا العجل سائباً على حريته في حقول البلد وما جاورها يأكل مما يشتهيه وأربـاب هـذه الحقول لا يستطيعون طرده أو إهانته خوفاً من الولي الذي هو في حمايته حتى يأتي مولده أي مولد ذلك الولي فيأخذه السدنة سميناً معلوفاً ويذبحونه وينتفعون به.." انتهى ما في الكتاب..

أما إخواني في الله عن الوقاية والعلاج..

كيف يتقي المسلمون؟ وكيف يكون العلاج لهذه الظاهرة العظيمة؟ أقول فمن العوامل التي تساعد بإذن الله تعالى على وقف زحف هذه الوثنية التي انتشرت بين صفوف المسلمين ما يأتي:

أولاً: أن يعتني العلماء والدعاة بتقرير التوحيد ونشره في تلك المجتمعات المعظمة للقبور وأن يجتهدوا في توضيح مفهوم التوحيد وذلك من خلال القصص القرآني وضرب الأمثال وضرورة تعلق القلب بالله وحده سبحانه وتعالى وأن الله عز وجل هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير وهو المعبود بحق الذي تتوجه إليه القلوب بالمحبة والإجلال والخشية والرجاء وحده سبحانه وتعالى.. أقول أن يتضمن هذا التقرير بيان عجز المخلوقين وضعفهم وأنهم لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

ثانياً: تربية الأمة عموماً وهذه المجتمعات المعظمة للقبور خصوصاً على التسليم لنصوص الكتاب والسنة.. والتحاكم إليها وانشراح الصدر لها لقوله تعالى: {فَلاَ وربك لاَ يؤمِنونَ حتى يحكموك فِيما شجر بينهم ثُم لاَ يجِدواْ فِي أَنفُسِهم حرجا مما قَضيت ويسلمواْ تسلِيما} (٦٥) سورة النساء ، فإذا كان طواغيت هذا العصر يفرضون على الناس احترام الشرعية الدولية والإذعان والتسليم لقرارات الأمم المتحدة فإن على العلماء والدعاة إلى الله أن يدعوا

المسلمين إلى التسليم والانقياد لشريعة محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم أطهر خلق الله.. وأكرم خلق الله.. وأشرف خلق الله.. وألا تعارض هذه السنة العظيمة بأي نوع من المعارضات سواء كانت هذه المعارضة تقليداً أو عقلاً أو ذوقاً أو سياسة أو غيرها.. فالإيمان مبني على التسليم لله تعالى والانقياد لحبيبه ولخليله محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: إظهار السنن النبوية والآثار المحمدية والتمسك ا الذي ينتج عنها بإذن الله زوال البدع واندثارها والحذر من البدعة مهما كانت فإنه ما ظهرت بدعة إلا رفع مثلها من السنة والنفوس إخواني في الله إن لم تشتغل بسنة وتوحيد فإ ا ستشتغل ببدعة وشرك فإن النفوس خلقت لتعمل لا لتترك.

رابعاً: العمل بقاعدة سد الذرائع فكل ما كان وسيلة أو ذريعة تؤدي إلى الشرك فينبغي التحذير منها وذلك حماية لجناب التوحيد فالتهاون في هذه المسألة يفضي إلى الوقوع في الشرك بالله عز وجل والخروج من الملة الحنيفية.. فمثلاً الصلاة عند القبور والبناء عليها أمور حرمها الشارع الحكيم سبحانه وتعالى لأ ا طريق ووسيلة تفضي إلى الشرك بالله تعالى وقد أشار الإمام العلامة الشوكاني رحمة الله عليه إلى أن البناء على القبور سبب رئيسي في عبادة القبور فقال رحمة الله عليه: " فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا

الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبـور ووضـع السـتور عليهـا وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبر الستور الرائعة والسرج المتلألة وقد سطعت حوله مجامر الطيب فلا شك ولا ريب أنه يمتليء قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق ذهنه عـن تصور ما لهذا الميت من المـ له ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبـه مـن العقائـد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان على المسلمين وأشد وسائله إلى ضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالا يقـدر عليـه إلا الله سبحانه وتعالى فيصير في عداد المشركين والعياذ بالله تعالى.. انتهى كلام الإمـام الشـوكاني رحمة الله عليه.

خامساً : السعي إلى هدم القباب ونقضها وإزالتها امتثالاً لوصية رسول الله صلى الله عليـه وسلم واتباعاً لسلف الأمة الأطهار الأبرار رضي الله عنهم فعن أبي الهياج ألأسدي قال: قـال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " رواه الإمام مسلم ، ولمـا ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم " إغاثة اللهفان " " مساجد الضرار وتحريقهـا قال ما لفظه: ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه كالمساجد المبنية على القبـور

فإن حكم الإسلام فيها أن دم كلها حتى تسوى بالأرض وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار وكذلك القباب التي على القبور يجب أن دم كلها لأ ا أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم " انتهى كلامه رحمة الله عليه..

أقول أحبتي في الله وممن سلك هذا المسلك النبوي في هدم القباب والأضرحة من الأئمة الأعلام ذلك الإمام الجبل محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه.. " فيذكر ابنه الشيخ عبدالله على ما فعلوه أثناء دخولهم مكة شرفها الله في سنة ألف ومائتين وثمانية عشر للهجرة فكان مما قاله: فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والإعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضر بسببه مع جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبقى في البقعة المطهرة طاغوت يعبد فالحمد لله على ذلك " انتهى كلامه رحمه الله..

ومما سطره المؤرخ ابن بشر في كتابه عنوان ا د عن الأعمال التي قام ا الأمير سعود بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما لفظه: أنه في حوادث سنة ألف ومائتين وستة عشر للهجرة توجه الأمير بالجيوش إلى كربلاء فهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين رضي الله عنه كما دخل في سنة ألف ومائتين وسبعة عشر للهجرة مكة وطاف وسعى ثم فرق جيوشه يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيو ا فأقام فيها رحمه الله أكثر من عشرين يوماً ولبث المسلمون في تلك

القباب بضعة عشر يوماً يهدمون ويباكرون إلى هدمها كل يوم وللواحد الأحد يتقربون حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها و جعلوها تراباً .. انتهى كلامه رحمة الله عليه.

سادساً : إخواني في الله السعي إلى فضح وكشف مكائد أرباب القبور وسدنتها أولئك المُرتزَقَة ذلك ببيان حقيقة هؤلاء الدجالين والملبسين وما هم عليه من الفجور والولوغ في الفواحش وأكل أموال الناس بالباطل وأنهم خونة وعملاء لكل مستعملٍ كافر وقد كشف أهل العلم حقائق مخزية وأحوالاً فاضحة لأولئك السدنة المظلين واتباعهم وما يرتكبونه من انخلاع عن شرائع الله تعالى وولع بالفجور والقاذورات ومن ذلك ما ذكره المؤرخ الجبرتي رحمة الله عليه في شأن مشهد عبد الوهاب العفيفي وما يحصل عنده من أنواع الفسوق والفجور حيث قال ما لفظه: ثم إنهم ابتدعوا له موسماً وعيداً في كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد فينصبون خياماً كثيرة ومطابخ وقهاوي ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والبغايا فيملئون الصحراء فيطئون القبور ويوقدون عليها النيران ويصبون عليها القاذورات ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر " انتهى كلامه رحمة الله عليه..

وقبل الختام إخواني في الله أقول لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بهذه القباب والقبور والأضرحة وهذه الجيف والأشلاء: ويلكم ماذا غركم بهذه الأنصاب والأجداث.. أريتم شيئاً منها خلق شيئاً منكم .. فاستحق خضوعه وعبادته ورغبته ورهبته من دون الله تعالى.. ويلكم!! هل وجدتم هذه الأخشاب والأبواب والأموات أقرب إليكم من الله وأرحم بكم منه .. وأعلم بحاجاتكم منه.. أم وجدتم أن الله لا يسمع دعائكم ولا يتقبل عبادتكم حتى تذلوا لعبيده .. وحتى تسألوهم مالا يملكون.. ولا يقدر على عطاءه إلا رب العالمين.. ويحكم رغبتم عن الله فرغب الله عنكم.. ورغبتم في غير الله فرغب من رغِبتم فيه في الله عنكم.. فلا أنتم أدركتم رضا الله.. ولا أدركتم رضا من رغبتم في رضاه.. فخسرتم الدارين وهذا هو الخسران العظيم.. تخلى الله عنكم بنصره وعونه إذ تخليتم أنتم عن استنصاره واستعانته سبحانه وتعالى.. ويلكم أيها القبوريون.. شرب الموحدون صفواً وشربتم أنتم كدراً .. دعا الموحدون رباً واحداً ودعوتم أنتم ألف رب.. { أأرباب متفَرقُونَ خير أَمِ اللّه الْواحِد الْقَهار } (٣٩) سورة يوسف.. رغب الموحدون في السماء ورغبتم أيها القبوريون في الأرض .. نادى الموحدون خالق الأحياء.. وناديتم أنتم أشلاء الأموات.. ويحكم أما قرأتم قول الله تعالى: {إِن الذِين تدعونَ مِن دون اللّهِ عِباد أَمثَالُكُم فَادعوهم فَلْيستجِيبواْ لَكُم إِن كُنتم صادِقِين} (١٩٤) سورة الأعراف ، أما قرأتم قوله تعالى: {والذِين تدعونَ مِن دونِهِ لاَ يستطِيعونَ نصركُم ولاَ أَنفُسهم

ينصرونَ} (١٩٧) سورة الأعراف ، وقوله تعالى: {إِن الذِين تدعونَ مِن دونِ اللهِ لَن يخلُقُوا ذُبابا ولَوِ اجتمعوا لَه } (٧٣) سورة الحـج ، ألم تقرأو قوله الله تعالى: {والذِين تدعونَ مِن دونِهِ ما يملِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ} (١٣) سورة فاطر ، ألم تقرأو قول الله تعالى: {قُلْ أَرأَيـتم مـا تدعونَ مِن دونِ اللهِ أَرونِي ماذَا خلَقُوا مِن الْأَرضِ أَم لَهم شِرك فِي السماواتِ ائْتونِي بِكِتابٍ من قَبلِ هذَا أَو أَثَارةٍ من عِلْمٍ إِن كُنتم صادِقِين} (٤) سورة الأحقاف ، ألم تقرأو قـول الله تعالى: {ومن أَضل مِمن يدعو مِن دونِ اللهِ من لا يستجِيب لَه إِلَى يومِ الْقِيامـةِ وهـم عـن دعائِهِم غَافِلُونَ} (٥) سورة الأحقاف ...

اللهم يا من تعطف العز وقال به، ويا من لبس ا د وتكرم به، يا من رداءه العظمـه، وإزاره الكبرياء، يا من تفرد بالملك والخلق والتدبير والقهر والسلطان وحده، يا من خضع لجلاله كل شيء ، وذل لعظمته ما في الكون، يا من تصمد له القلوب عند الحاجات وتلـهج بـذكره الألسن عند الملمات، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجتـه، ولا مريضـاً إلا شفيته ، ولا مظلوماً إلا نصرته ، اللهم رد المسلمين إلى كتابك وسنة نبيك وحبيبك محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم اهدم معاقل الأوثان وصروح الشـرك مـن القبـور والأضرحة على أيدي جنودك المؤمنين الموحدين، اللهم انصر الموحدين الداعين إلى توحيـدك وإفرادك بالعبادة في مشارق الأرض ومغار ا، اللهم اقمع المشركين والوثنيين، اللهم عليـك

باليهود الحاقدين والصليبين والشيوعيين والعلمانيين والرافضة المجوسية والقبور بين الخـرافيين وكل أهل البدع والضلال، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، اللهم اجعل آخر كلمة نقولها ونحن خروج من هذه الدنيا لا إله إلا الله، اللهم اجعل قبورنا روضـة من رياض الجنة، واحشرنا يوم القيامة خلف لواء الحبيب الخليل محمد ابن عبدالله صـلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه الأطهار وأزواجه أمهات المؤمنين.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا وخليلنا وقدوتنا محمد بن عبدالله

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ،،

قام بتفريغ الشريط ومراجعته وترتيب الملف:

أبي الزبير

abe_alzobair@hotmail.com